جامعة البصرة
كليـــــــــة الآداب
قسم اللغة العربية

مادة (ط هـ ر) بين الاستعمال الجاهلي والاستعمال القرآني
دراسة في صور البناء وموارد التــداول

الأستاذ المساعد الدكتور
ليـث داود سلمـــــان

البحث السابع

مادة (ط هـ ر) بين الاستعمال الجاهلي والاستعمال القرآني
دراسة في صور البناء وموارد التـداول

إذا كـان النص القرآني من تمثّلات عـالم الغيـب، وتجليـات الفعـل الالهي المجرد، فـإن عناصــره الخارجيّة التي برزت إلى عالم العين تتكيف بحسب الطبيعة الماديّة، وتنتظم في ضوء ضــوابط اللســان العربي، فهو كلام، والكلام يبنى على التواصــل والتفاعل، وقد كانت الإرادة الإلهيّة حاكمة بأن يكون المتلقي الأوّل فيهم فتنزّل في ديار العرب، وحلّ ربوعهم، فلا ريب إذا، أن يجري على السنن القوليّة نفسها، فهو مؤلف من مفردات اللغة المعهودة، وجارٍ على أصول عربيّتهم، لذلك نجد الألفاظ العربيّة حاضرة في بناء النصّ القرآني، وحتّى الألفاظ التي قيل: إنها ذات طبيعة تشـــريعيّة كالصلاة والزكاة والحجّ، لها واقع من الاستعمال الجاهلي إلاّ أن القرآن جعلها ذات طبيعة دلاليّة تخصّ الدين الجديد.

ولَم يقتصـــر الأمر على التماثل في المفردات، فثمّة تراكيب كثيرة مستعملة عند العرب، وقد أوردها القرآن حرفيّا وتصـــرف في بعضها، نحو: (افترسوه في الليل إذا يغشى والتهموه في النهار إذا تجلّى)[١].

ومنه قول الكاهنة: (...والسماء ذات البروج وما اشتملت عليه أرحام ذوات الفروج...)[٢].

ومن التصرف ما نجده في قول الشاعر:

...الا المليك المستعان المقتدر مسخّر الشمس لنا مع القمر[٣]

وقول عبيد بن الأبرص:

وليفنين هذا وذاك كلاهما الا الاله ووجه المعبودا[٤]

ومثله الكثير

ولكن هل استعمال المفردات في القرآن الكريم أخذ بعدا واحدا من التداول او أنه تعدد تبعا لتعدد الموارد؟ وإذا قلنا بالتعدد، فما الذي أضافه القرآن من خصائص مميّزة لهذه المفردة أو تلك حتى تكون ذات صـــبغة دينيّة معيّنة. وقد جال في خاطري، وأنا أتجول في رياض المنثور والمنظوم من كلام العرب قبل مجيء الإســلام، أن أتتبع مادّة لغويّة، لها حضــورها المميّز في كلام العرب والقرآن الكريم مما لم يفصّــل القول فيها الدكتور عودة خليل في التطوّر الدلالي ولا تلميذته في ألفاظ وتراكيب ودلالات جديدة في السياق القرآني، تلك هي مادّة (ط هـ ر)،. قد كان الباعث إلى ذلك هو الوقوف على المباني المســتعملة في مجال التداول لهذه المادة في كلا المجالين، لكي نخرج بتصـور وافٍ حول حركة المفردة من غير أن نتماشـى مع سـلطة تفرض قيودها علينا في تحديد مجالات التداول، فضـلا عن ذلك معاينة المباني الثقافيّة لدى العرب قبل الإسلام في إطار القيم والمعارف وموقف القرآن منها، هو يعرض لمعطياته الدينيّة.

وقد اشتغلت على محورين: الأوّل تحدّثت فيه عن هذه المادّة في الاستعمال السابق لنزول

القرآن، مبيّنا الصور التي تخرج إليها، والموارد المعتمدة في مجال التداول. من ثم تخلصت إلى الثاني الذي خُصِّص بالحديث عن المادّة في الاستعمال القرآني، معرّفا بأمثلتها البنائيّة، والمجالات المختلفة التي ذكرها القرآن في منظومته التواصليّة، والباحث من كلّ ذلك أراد أن يتعرّف على اللسان الفعلي للاستعمال من بيئة التداول بلا ذخالة قيود مفترضة، يضعها المعجمي أو يقترحها على غرار ما تكلّم به العربي، مما يدعو إليه القياس في كلامهم. فكان البحث ناظرا إلى اللغة في تواصلها الفعلي الواقعي، وهذا بدوره يكشف لنا عن العلاقات القائمة بين الألفاظ من الاستعمالين العربي قبل النزول والقرآني.

مادّة (ط هـ ر) في الاستعمال الجاهلي

ان حروف الهجاء الطاء والهاء والراء تشكل مادة لغوية ثلاثية الاصول، وبفعل الابنية المترشحة من هذه المادة تتباين الصور، وتتكاثر الصيغ، وبمعنى ان المادة الواحدة لها القدرة على النمو والزيادة بفعل ما يطرأ على الاصل من تغير او زيادة او نقصان، ولو حاولنا ان نرصد الفرضيات التي يمكن ان تنتجها اي مادة لحصلنا على الابنية الآتية:

– الابنية الفعلية في ضوء سياقات التداول (المتكلم والمخاطب والغائب).

١. الفعل الماضي:

فعلتُ فعلنا	(متكلم)
فعلت، فعلتما، فعلتم، فعلتِ، فعلتما، فعلتن	(مخاطب)
فعل، فعلا، فعلوا، فعلتْ فعلتا، فعلن	(غائب).

٢. الفعل المضارع:

افعل، نفعل	(متكلم)
تفعل، تفعلان، تفعلون، تفعلين، تفعلان– تفعلن	(مخاطب)
يفعل، يفعلان، يفعلون، تفعلُ، تفعلان، يفعلن	(غائب)

٣. فعل الامر:

افعل، افعلا، افعلوا، افعلي، افعلا، افعلن	(مخاطب).

وإذا ما ضممنا صور المزيد بحرف، والمزيد بأكثر من حرف، فسنحصل على ارقام كبيرة، وهكذا ستزيد الابنية إذا ما جمعنا معها الصور الاسمية، وهذا يكشف عن قدرة اللغة، وثرائها اللفظي، ولكن يبقى الاستعمال هو الفيصل، لانه محكوم بحدود الحاجة والاستدعاء، لذا نجد ان المفردة كلما كانت بتماس مع حياة الانسان، كثر استعمالها وازدادت فرص استثمار صورها المتعددة، واصبح لمفهومها نسق ثقافي، وبُعد تداولي.

صور البناء

وأنــا اختلف إلى المظــان الكثيرة المعتبرة، التي توثّق الموروث الروائي وتحفظ الثروة اللغويّة، التي استند إليها العلماء في وضـع قواعدهم اللغويّة وأنظمتهم اللسـانيّة، بشـعرها ونثرها، لم أَجِد إلاّ برضـا من تلك الصـور البنائيّة لهذه المادّة، وكان نصـيب الأبنية الاسـميّة يمثّل عمدة الاسـتعمال، وهي قليلة جدًّا، إذا ما قيس بالأبنيّة الاسـميّة التي تحدّث عنها الصـــــرفيّون في مدوناتهم. وهي على النحو الآتي:

-الصورة المصدريّة فُعْل

قال الشاعر•

لا تَرْجُوَنّا حَاصِنٌ عِنْدَ طُهْرِهَا لئِن نَحْنُ لَمْ نَثْأرْ مِنَ القومِ عَلقَمَا

وقال أبو طالب

إنّا بنو أمّ الزّبيرِ وَفَحِلهــا حملتْ بنا للطيْبِ والطّهْـر[٥].

قال عصمة بن حدرة اليربوعي:

وكنت لا أقرب طُهر عرسي وكنت لا أشرب فضل الكأس[٦].

فطُهر هو مصدر للفعل الثلاثي اللازم طَهُر•.

-صورة الوصف فاعل وفاعلة

من الموارد المسـتعملة لاسـم الفاعل من هذه المادّة ما كان على وزن فاعل وفاعلة، وإن كان ثمّة خلاف في اسـتعماله للمؤنث بلا هاء، أيراد به التلبس بحدث الفعل أم انّه يجري على النسـب. يقول سـيبويه: (...فزعم الخليل انهم إذا قالوا حائض فإنّه لم يخرجه على الفعل كما انّه حيث قال دارع لم يخرجه على فَعَل، وكأنه قال: درعيّ. فإنّما أراد ذات حيض ولَم يجئ على الفعل)[٧].

وفِي المقتضـب: (واعلم أن قولهم: عيشـة راضـية ورجل طاعم كاس إنَّما هو على ذَا معناه عيشـة فيها رضـا، ورجل له طعام وكسـوة. وكذا همّ ناصـب: إنَّما هو فيه نصـب. وكذلك كل مؤنث نعت بغير هاء نحو طامث وحائض ومئتم وطالق...)[٨].

وقال الأخفش: (إنَّما قالت العرب هند حائض فذكّروا حائضـــا لأنهم أرادوا هند ذات حيض...)[٩].

وكان الفرّاء يذهب إلى أنّ قولهم امرأة حائض وطالق وطامث جاءت بغير هاء لأن المذكّر ليس له حظّ في هذا الوصف[١٠].

وقال ابن السـكّيت: (امرأة طاهر إذا طهرت من الحيض، وامرأة طاهرة إذا كانت نقيَّة من العيب)[١١].

وهي من مسائل الخلاف بين المدرستين، وقد فَصّل القول فيها ابن الانباري[١٢].

ومن الأمثلة على هذا المبنى، وهو خالٍ من الهاء

قال الأعشى:

عَبَهْرَةُ الخلْـقِ بُلا خِيّةٌ تشُوبهُ بالخُلــقِ الطاهِرِ[١٣]

وقالت مُفدّاة الحميريّة:

كذاك فكن، يسلم لك العِرض، إنّه جمال امرئٍ أن يرتدي عِرض طاهرِ[١٤]

إنّ هذا المبنى زنة فاعل، وهو مشتقّ من الثلاثي طهُر، ومجيء فاعل من فعُل على قلّة، ومثله حمُض حامض وخثُر خاثر وهو من الصفات المشبّهة باسم الفاعل.

وقال عطاف بن شعفرة:

فغشما فإن الغشم يرحض عنكم كما رفضت عنها أَذًى الثوب طاهر[١٥]

وقال المخبّل السعدي:

إنّ قشيراً من لقاح ابن حازمٍ كراحضة حيضاً وليست بطاهرِ[١٦]

إن هذا المبنى زنة فاعل مستعمل للمؤنث العاقل، فهو عند البصـــــــريين محمول على النسب، وعند الكوفيين باقٍ على دلالته، وقد أسقطت منه الهاء لأنه مما يختصّ به المؤنث.

أمّا مجيؤه مقرونا بالهاء، فنحو قول امرأة من بني مجاشع:

جزرت نواصياً منّا فراحت نساء الحيّ طاهرة الثياب[١٧]

وقال السفّاح بن خالد:

وخرساء طاهرة الأداة كأنها نار يشبّ سعيرها بلظاها[١٨].

المبنى من الوصف المختوم بالهاء زنة فاعلة، وهو اسم فاعل مستعمل للمؤنث

-صورة الوصف مُفعَّل

استعمل هذا البناء مشتقّا من مصدر غير الثلاثي المبني للمجهول، للدلالة على من وقع عليه الحدث،

ومنه قول النابغة:

أحْلامُ عَادٍ وأجْسَادٌ مطهّرةٌ مِنَ المَعَرّةِ والآفاتِ والإثمِ[١٩].

فمطهّرة اسم مفعول من الفعل الرباعي طهّر.

-صورة الجمع

ظهرت أوزان الجموع من هذه المادّة على صيغتين: الأولى زنة أفعال، والثانية زنة فعالى. ومن المعلوم ان الأولى تطّرد في الأسماء الثلاثيّة جميعها ما خلا وزن فُعَل، وفَعْل الصحيح العين والفاء غير المضعّفٍ، وما عداها يحمل على السماع. والثاني يطّرد في صور متعددة كالاسم زنة فَعْلى وفِعْلى وفعلاء، والوصف الذي لا مذكر له زنة فعلاء وفُعلى، وما كان زنة فعلان فعلى، والاسم المعتل اللام زنة فعيل، والاسم المعتل اللام والعين زنة فاعلة، والاسم المعتل اللام زنة فُعالة وفَعالة وفِعالة وما عدا ذلك فسماعي[٢٠].

فمن الأوّل

قول الربيع بن زياد:

أفَبَعْد مَقتْل مِالِكِ بنِ زُهيرٍ تَرجُو النساءُ عَواقِبَ الأطْهَارِ[٢١].

وقول النابغة:

شُعَبُ العِلافِيّاتِ بين فُرُوجِهِم والمُحْصنَاتُ عَوَازِبُ الأطْهَارِ[٢٢]

وقول الأعشى:

وَسَوفَ يُعْقِبُنيهِ إنْ ظَفِرتَ به رَبٌ كَرِيمٌ وَبِيضٌ ذاتُ أطْهَارِ[٢٣].

وقول دريد بن الصمة:

ورَدّ النساءَ بأطْهارِهـا وَلَو كَـانَ غيرُ يَزيدٍ فَضَح[٢٤]

وقول حسّان في جاهليته•:

يكسو الثلاثة نصف الثوب بينهم بمئزٍ ورداءٍ غير أطهارِ[٢٥]

البناء المتقدّم من جموع القلّة زنة أفعال، مفرده اسم ثلاثي زنة طُهر، وهو جارٍ على القياس إلاّ أنّ بيت حسّان يحتمل فيه أن يكون جمعا لكلمة طاهر؛ لأنّه من الوصف المستعمل لغير العاقل، ولا يراد به المعنى المصدري.

أمّا الجمع الآخر، فلم يرد منه إلاّ مثال واحد

قال امرؤ القيس:

ثِيابُ بَنِي عَوفٍ طَهَارى نَقيّةٌ وَأوْجُهُهم عند المشَاهِدِ غُرّانُ[٢٦]

وهذا الجمع جاء على غير قياس؛ لأنّ مفرده طاهر زنة فاعل[٢٧].

وقال فيه الجوهري:(وثياب طهارى على غير قياس، كأنهم جمعوا طهران قال الشاعر ثياب بني عوف طهارى نقيَّة...)[٢٨].

ومن النثر الجاهلي لم أظفر بصورة اخرى لهذه الماده•، بل وجدت في نصوص تفسر

المثل او تذكر قصته، ووجدت في نص يتحدث عن أمّ العاص، استعمل فيها المبنى الاسمي (طُهر).

وهذه النصوص هي:

جاء المبنى الاسمي (طهر) في قصة المثل: (قد وقع بينهم حرب داحس والغبراء) على النحو الآتي:

" ثم دسّ أمة له يقال لها رعية الى الربيع تنظر ما يعمل، فدخلت بين الكفاء والقصد لتنظر امحارب هو ام مسالم، فأتته امرأته تعرض له وهي على طهر فزجرها...)[٢٩].

وفي قصة المثل (عوف يزنّأ في البيت) جاء المبنى نفسه في النص الذي يتحدث عن جارية: " ان جارية من خثعم ابصرت بعكاظ جارية بن سليط الحارث بن يربوع بن حنظلة بن مالك، فأعجبها حسنه وهيئته، فتلطفت حتى وقع عليها، ثم قالت:

إنّك أتيتني على طهر، ولعلي أعلق منك ولدا.. [٣٠].

وفي قصة المثل (لا مَاءَك أبْقيْتِ ولا حَركِ أنْقبْتِ)

نجد المبنى الاسمي نفسه إذ قيل: في النص الاتي:

"ان رجلا كان في سفر ومعه امرأته، وكانت عاركاً فحضر طهرها ومعه ماء يسير فقيل لها: أخري الاغتسال الى وقت ورود الماء..." [٣١].

وفي قصة المثل (هذا حِرٌ معروف وكنت البارحة في حِر منكر) جاء المبنى نفسه

"...كان زوج اخته رجلاً من قومه ضعيفاً أحمق، فولدت له فأحمقت واضعفت، فلما رأت ذلك أعجبها ان يكون لها ولد، له مثل ادب لقمان اخيها ودهاه، فقالت لامرأة لقمان: اني امسيت الليلة على طهر، فهل لك على ان اجعل لك جعلا على ان تخليني وأخي..." [٣٢].

وفي حديث أم العاص: ".. وقد قيل انها كانت عند عبد الله بن جدعان، فوطئها في طهر واحد ابو لهب وامية بن خلف وهشام بن المغيرة وابو سفيان بن حرب والعاص بن وائل.." [٣٣].

ولكن لا تقوم هذه النصوص دليلا على وجود المادة في الاستعمال الجاهلي، لانها ليست من النص نفسه، بل هي توضيح وتبيين للمثل وهذا متأخر عن وضع المثل، فهي الى فعل الرواة والعلماء أقرب.

موارد التداول

من فحصنا للنصوص السابقة، والتحرّي عن مجالاتها والسياق الذي ترد فيه، تبين أنّ المادّة اللغويّة التي تنتج الصور البنائيّة المتقدّمة تتحرك في محورين، وتقصد مسلكين، وإن كانت متعلقاتها مختلفة، وهي على النحو الآتي:

-طهارة الثياب

إنّ ظهور الطهارة في مورد الثياب لا يعني التخلص إلى البعد الشـــــــــرعي في الثقافة الإسـلاميّة، فإن السـياق حاكم في أنّ المراد من طهارتها هو البعد القيمي، فيكون المقصـد نقاء الروح وطهارة النفس في خلوّها من الحقد والغدر والخيانة، وإلا فما قيمة النســـبة الخارجيّة إلى هذه الثياب، إن اشتملت النفس على خصال ذميمة.

-طهارة الأخلاق

استعملت الطهارة في مورد الأخلاق صـــــراحة في أبيات كثيرة، والمقصود بها بناء الذات على أســـاس الثقافة العربيّة الأصـــيلة الداعية إلى الترفع عن لوث الفحش ودناســـة الفعل في العلاقات الاجتماعيّة، ونبذ كل صـــور الرذيلة، وبيت الأعشـــى نصّ في ذلك، وهو ظاهر من السياق في بيت أبي طالب.

طهارة الأجساد

استعملت الطهارة مع الاجساد في بيت النابغة، وهو لا يريد بها رفع ما علق بالجسد من الاشـياء المنفرة التي تخرجه من الطهارة، بل جعلها مفهوماً عاما، تشـمل الطهارة من العوارض المادية والخلقية، لان المعقة والآثام تلحق الافعال لا الاجســـاد. ولكن لا يراد بها الطهارة المستعملة في مورد النساء، لظهور السياق في مدح الرجال وتعدد مناقبهم.

-طهارة النساء

استعملت الطهارة في مورد النساء كثيرا، وهي المقصد الآخر الذي تتحرك فيه المفردة في المجال التداولي، والمراد بها تلك الحالة التي تعقب زوال الدم، ويكون الرحم معها مهيأً للحمل واستقبال الجنين، سواء استعمل معه الغسل كما في بيت عطاف بن شعفرة أم لا.

وهذا المعنى واضح في التشـريع الإسلامي. بل يمكن أن نعدّه من جذور التشـريع لديهم، وإن كانت ثمّة اختلافات يسيرة في الكيفية التي يوجبها الدين الإسـلامي من حيث القصـد والنيّة والكيفيّة وغيرها.

وفي كل الشواهد المتقدمة لا تخرج المادة في الاستعمال الجاهلي عن أمرين:

١. الطهاة المعنوية

٢. الطهارة المادية المستحصلة من زوال الحيض عند المرأة فحسب.

وفي كلا الامرين لا نستطيع ان نجزم ان كثرة الاستعمال في الجانب المادي، ولا سيما

مورد النساء، هو المعول عليه في الحقيقة، والاستعمال الأقل هو الخروج من الاصل المتقدم بعلاقة المشابهة، لان المشابهة، لما كانت موجودة، فاحتمال احد الطرفين وارد، ولا ترجيح في ذلك، وربما طغيان الجانب المادي منشؤه دواعي الاستعمال، وقلة الركون الى الجانب المشرق من البعد الآخر من الانسان الذي لا يركن إليه الا اذا كان هناك مجال للمدح والثناء، لذا بقي هذا الاستعمال محدودا، والمجال محفوظا ومقصورا على المناسبات بخلاف المعنى الثاني. وإذا دققنا في المعنى أكثر، في خصوص الطهارتين، فأننا سنجد ان الطهارة المادية ترجع الى الطهارة المعنوية، لان الاستعمال في مورد النساء يراد به الحالة المعنوية المترتبة على انقضاء الدم الفاسد الزائل من رحم المرأة، واجتثاثه لا العملية المادية نفسها. وفي بعض الشواهد يكون للرحض دور في ازالة هذا الاثر.

إذا ، الطهارة في مورد النساء هي شيء يراد به البراءة والنقاء، والفهم المادي منه متأت من استعماله في تلك الطبيعة التي تعتري النساء.

مادة (ط هـ ر) في الاستعمال القرآني

نمت هذه المادة، في النص القرآني أكثر، وازدادت صورها، واتسعت مساحتها بشكل يختلف عما اوردناه في الاستعمال الجاهلي، وظهر المبنى الفعلي جليا واضحا بنسبة وافرة، والسبب واضح من منظور الاسلام الذي يدعو الى إعلاء الجانب المشرق من الانسان، وابراز هدفه السامي، فالطهارة عنده أسّ كل عمل وأساسه، وهي مقدمة لنجاح النتيجة وتكاملها، وبها يطأ الانسان ساحة القدس وينال معالي الامور واسناها، ومن خلالها يكتسي حلة الفضيلة، وينأى عن الرذيلة. انها هوية المؤمن، وعنوان وجوده.

ان الاسلام جعل من هذه المفردة محورا تدور حوله كل معارفه، وشعارا يرمز الى كل قيمة، وبذلك يكون قد زاد مما عند العرب من تلك الخصال السنيعة التي كشفت جزءا من القيم الانسانية الحميدة والمثل الاخلاقية المنيعة التي يتمتع بها العربي قبل نزول القران، ليكون نسقاً اثيلاً له ابعاده العقدية والخلقية في كل شؤون الحياة وميادينها.

صور البناء

١ـ الأبنية الفعلية

استعمل القرآن الابنية الفعلية بصورها المتعددة سواء اكانت مجردة ام مزيدة على النحو الآتي:

أ – الفعل الماضي

استعمل القرآن من الفعل الماضي ما يأتي:

- (طهّر)

قال تعالى: " إِنَّ اللّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاء الْعَالَمِينَ.." آل عمران ٤٢.

استعمل القرآن الفعل الماضي الثلاثي المزيد بالتضعيف للمفرد المذكر الغائب ليدل على ايقاع فعل الطهارة، وايصاله من الفاعل الى المنفعل مباشرة.

- تطهّرن قال تعالى: " فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللّهُ " البقرة ٢٢٢.

المبنى ثلاثي مزيد بحرفين التاء والتضعيف، وقد اسند الى جماعة الاناث الغائبات.

ب – الفعل المضارع

استعمل القرآن من الفعل المضارع الصور الآتية:

- يطهرن قال تعالى: " وَلاَ تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىَ يَطْهُرْنَ " البقرة ٢٢٢.

اسند هذا المبنى الى جماعة الإناث الغائبات، وهو مضارع، ماضيه مجرد.

- تطهّرهم قال تعالى: " خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا " التوبة ١٠٣.

ان هذا المبنى زيد بالتضعيف، فضلا عن حرف المضارعة، وهو يحتمل النسبة الى امرين بحسب السياق:

١. المفرد المؤنث الغائب، إذا كان الضمير يعود الى الصدقة.

٢. المفرد المخاطب المذكر، إذا كان الضمير يعود الى الرسول (ص).

والاقرب ان يكون الضمير عائدا الى الرسول لمكان الضمير (بها)، ولو كان عائدا الى الصدقة، لكان الانسب تطهرهم بك، فضلا عن ذلك ان مدار الحديث هو الرسول.

- يطهّر قال تعالى:

"يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لاَ يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُواْ آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هِادُواْ سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِن بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَـذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُواْ وَمَن يُرِدِ اللّهُ فِتْنَتَهُ فَلَن تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللّهِ شَيْئاً أُوْلَـئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ" المائدة ٤١.

"يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ فاغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُواْ بِرُؤُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَينِ وَإِن كُنتُمْ جُنُباً فَاطَّهَّرُواْ وَإِن كُنتُم مَّرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاء أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لاَمَسْتُمُ النِّسَاء فَلَمْ تَجِدُواْ مَاء فَتَيَمَّمُواْ صَعِيداً طَيِّباً فَامْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ مَا يُرِيدُ اللّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَـكِن يُرِيدُ لِيُطَهَّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ

تَشْكُرُونَ" المـائدة ٦.

" وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّن السَّمَاء مَاء لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ" الانفال ١١.

" إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً " الاحزاب ٣٣

استعمل المبنى في الآيات المتقدمة للمفرد الغائب المذكر، وهو مزيد بالتضعيف.

-يتطهّرون قال تعالى: " لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ..." التوبة ١٠٨.

أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ " النمل٥٦.

المبنى المتقدم من الثلاثي المزيد بحرفين التاء والتضعيف، فضلا عن حرف المضارعة، وقد اسند الى جماعة الذكور الغائبين.

جـ – فعل الامـر

استعمل القرآن من فعل الامر الصور الآتية:

- طهّر قال تعالى: " وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لَّا تُشـرِكْ بِي شَيْئاً وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ..." الحج ٢٦.

" يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنذِرْ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ وَثِيَابَكَ فَطَهِّر" المدثر ١– ٤.

المبنى المتقدم من الثلاثي المزيد ماضـــيه بالتضـــعيف وقد أســـند الى المفرد المذكر المخاطب.

وقال تعالى: "وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ " البقرة ١٢٥.

ان المبنى المتقدم من الثلاثي المزيد بالتضعيف، وقد اسند الى المثنى المذكر المخاطب.

-اطّهّروا قال تعالى: " وَإِن كُنتُمْ جُنُباً فَاطَّهَّرُواْ" المائدة ٦.

ان صورة هذا المبنى من الثلاثي المزيد بثلاثة أحرف (الهمزة والتاء والتضعيف)، وهو زنة اتفعّلوا، والأصـــل: تطهّروا، فأبدلت التاء طاء وأدغمت مع الطاء، وجيء بهمزة لئلا يُبتدأ بالســـاكن. وقد ذهب الى ذلك الزجاج في معانيه، إذ قال:(معناه فتطهروا الا ان التاء تدغم في الطاء لأنها من مكان واحد، وهما مع الدال من طرف اللسان، وأصول الثنايا العليا، فإذا أدغمت التاء في الطاء سقط أول الكلمة فزيد فيها ألف الوصل، فابتدأت فقلت: اطّهّرا)[٣٤].

وهو الوجه، إذ ليس لدينا كلمة زنة افتعّل، وما ذهب إليه عوض محمد من أنّه زنة افتعل غير صحيح[٣٥]، وما ذكره محمود صافي في غير محله لأنَّه جعله شاذاً زنة افتعّل[٣٦].

وقد اسند الى جماعة الذكور المخاطبين.

٢ـ الأبنية الاسمية:

للمبنى الاسمي صور متعددة ظهرت في الاستعمال القرآني على النحو الآتي:

- الصـورة المصـدرية تفعيل، قال تعالى: " إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً " الاحزاب ٣٣.

ان المبنى (تطهير) مصدر مأخوذ من الفعل المضعف طهّر

-صـورة الوصـف مُفَعِّلْ، قال تعالى: "إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ" آل عمران ٥٥

ان هذا المبنى هو اسم الفاعل المأخوذ من الفعل المضعف (طهّر)

-صورة الوصف مفعَّل قال تعالى: " وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ" البقرة ٢٥

" خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ " آل عمران ١٥

" كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ فَمَن شَاء ذَكَرَهُ فِي صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ " عبس١١– ١٤

" رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفاً مُّطَهَّرَةً " البينة ٢

ان المبنى المتقدم هو اسم المفعول المأخوذ من الثلاثي (طهّر)

-صورة الوصف فعول، قال تعالى: "وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُوراً" الفرقان ٤٨

" وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شراباً طَهُوراً" الانسان ٢١

اختلف في المبنى المتقدم، فبعض قال: انه للمبالغة، وبعض قال: انه اسـم لما يُتطهر به[٣٧]، وهناك من احتمل كونه مصـدراً[٣٨] والسـياق في الآيتين يؤيد الاول، وقد ذهب اليه ابو حيان[٣٩] وابن عاشور[٤٠] والطباطبائي[٤١].

- صـورة الوصـف أفعل، قال تعالى: " وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَـاء فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلاَ تَعْضُـلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَـوْاْ بَيْنَهُم بِالْمَعْرُوفِ ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكُمْ أَزْكَى لَكُمْ وَأَطْهَرُ " البقرة ٢٣٢

" قَالَ يَا قَوْمِ هَؤُلاء بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ " هود ٧٨

"وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعاً فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاء حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ" الاحزاب ٥٣

" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُـولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَـدَقَةً ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ" المجادلة ١٢

ان المبنى في الآيات المتقدمة ظاهر في ان شيئين اشتركا في أمر، وقد زاد احدهما على الآخر، وهو ما يسمى (اسم التفضيل)، ما خلا آية سورة هود التي اختلف فيها، فمنهم من تحيل قراءته على التفضيل[٤٢] وثمة من يوجه المعنى توجيها يخرجه من احتمال طهارة الطرف الاول،

سواء أقال بالتفضيل ام لا[٤٣].

والباحث يرى انه للتفضـــيل، ويذهب الى ما ذهب اليه صـــاحب روح البيان من ان النبي عليه السلام ساير قومه فيما كانوا يعتقدون به من مشـــــروعية عملهم[٤٤] أي انه يتنزل لهم من اجل ان يتدرج في خطابه، ويحملهم على الاقناع. وقد يكون من قبيل المفاضـــلة والمقايســـة بين أمرين لا يشـــترط فيه طهارة الاول، اي تكون من الفعل الحســـن والفعل غير الحســـن من اجل توجيه الذهن وصرفه عن الفعل السيئ[٤٥].

- الوصف المجموع، قال تعالى: " إِنَّ اللهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ" البقرة ٢٢٢
" وَاللهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ" التوبة ١٠٨

ان المبنى في الســـياقين المتقدمين، هو اســـم الفاعل المأخوذ من الفعل الثلاثي المزيد بحرفين التاء والتضعيف، وقد جمع جمع تصحيح، لانه وصف للمذكر العاقل.

وقال تعالى: " لَّا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ " الواقعة ٧٩.

ان المبنى في الآية القرآنية هو اســـم المفعول المأخوذ من الثلاثي (طهّر) وقد جمع جمع تصحيح، لأنه وصف للمذكر العاقل.

موارد التـــداول

اتسـعت دائرة استعمال هذه المادة في النص القرآني، واكتسـت مزية دينية لم تكن معهودة في العصـــــر الجاهلي، حتى انها اصـبحت في بعض الموارد متعلقا للحب الالهي، واي قيمة يكتســـي هذا المفهوم عندما يكون مورداً لمحبة الله، وهل يزول نســق يطلبه ســائق التكوين؟ ! ولذلك تكون هذه المفردة من المفردات التي سعى كل من ينتمي الى منظومة الدين والشـــريعة، للتخلق بها على وفق ما تمليه عليه التعاليم الالاهية من أمور يترتب عليها بعد خلقي، تســـهم اسهاما ناجحا في تكامل الفرد وصفاء سريرته.

والموارد القرآنية هي:

-الازواج في الآخرة قال تعالى:

" وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ" البقرة ٢٥.

" خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ" آل عمران ١٥.

" لَّهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ" النساء ٥٧.

استعملت المادة في مورد ازواج الآخرة، بمبنى اسم المفعول، لكي تكون الازواج في النشأة الاخرى –التي أرجأ الله فيها الثواب – من لدن فاعل حكيم، وفي حذف المتعلق اشارة الى تفاوتها واختلافها عن نســـاء الدنيا، لان الاخيرة طهارتها مقيدة، وهذه، اعني الازواج المطهرة، طهارتها

مطلقة وشتان ما بين الاثنين.

واذا كان الاستعمال الجاهلي منصبا على جانب معين من الازواج، فانه في النص القرآني غاية تتشوق النفوس الى نيله، وتسعى الى تحصيله، لان الله عز وجل قد صنع هذا الشيء مطهرا لا انه يَطهُر او يتطهّر.

-نساء الدنيا قال تعالى:

" وَلاَ تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىَ يَطْهُرْنَ " البقرة ٢٢٢.

" فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللّهُ " البقرة ٢٢٢.

" وَإِذْ قَالَتِ الْمَلاَئِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاء الْعَالَمِينَ " آل عمران ٤٢.

" قَالَ يَا قَوْمِ هَؤُلاء بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ " هود ٧٨.

استعمل القرآن هذه المادة – بمبانيها المختلفة – في مورد نساء الدنيا بنحوين:

الأول في مورد طبيعة المرأة وتكوينها الفسيولوجي.

والثاني في مورد الذات.

فالآية الأولى استعمل المبنى فيها على سنخ ما عرف في الاستعمال الجاهلي من معنى الطهارة، وان اختلفت الصيغة، ولم تكن الآية الثانية كذلك، لان التطهر واعمال الطهارة مما أوجده الاسلام، وفرضته شرائعه، ولا يوجد نص جاهلي – فيما تتبعت – يشير الى تكلف الطهارة.

ولهوان المرأة في العصر الجاهلي وصغر شأنها، لم يشع معها استعمال المادة في مورد المدح، بخلاف القرآن الذي رفع من شأنها وزاد من قدرها، فجعلها في منزلة سامقة، فالله عز وجل في الآية الثالثة طهّر مريم بنفسه، وجعل لطهارتها مزية على كل نساء قومها، وفي حذف متعلق الطهارة الشيء الكثير. ولا يقفز الى الذهن ان المراد بالطهارة في المقام، هو كل ما يترتب على زوال دم الحيض، لان هذا كائن لنساء الدنيا، ولا فرادة ولا امتياز في ذلك، ونسبة الفعل الى الله عز وجل يكشف عن منزلة مريم (عليها السلام) وسمو ذاتها، ومثل هذه النسبة لا توجد في الاستعمال الجاهلي.

وفي قصة النبي لوط (عليه السلام) استعمل الطهارة للبنات لا لمطلق النساء لنكتة اقتضاها المقام، وهو ترغيب قومه، وتليين مشاعرهم، وتحريك عواطفهم التي باتت أسيرة القبائح والمحرمات، لذلك لم تكن هذه الطهارة من قبيل جريان الطبيعة عند المرأة، لان هذا حاصل لبناته ولغير بناته، ولا تشويق في ذلك ولا ترغيب. ان النبي يقدم بناته، لا بوصفهن طاهرات من

الحيض ولا بريئات من الدم، ولا ان اتيانهن افضل واحسن من اتيان الذكور، بل لان مستودع الطهارة يكمن في ذاتهن، ومنتجب العراقة مستقر في مهدهن.

ان النبي (عليه السلام) يوجههم الى المغرس الحسن الذي ينتج لهم ثماراً طاهرة وينعاً نقيا.

- الرجال•

اذا كان استعمال المادة في العصر الجاهلي مع الاجساد للمدح، فإن الاستعمال القرآني لم يختلف عن ذلك، ولكن زاد فيه الطهارة من الجنابة؛ التي لم تكن مستعملة عندهم.

قال تعالى:

" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ" المجادلة ١٢.

" وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاء فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلاَ تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْاْ بَيْنَهُم بِالْمَعْرُوفِ ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكُمْ أَزْكَى لَكُمْ وَأَطْهَرُ وَاللهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ " البقرة ٢٣٢.

" إِنَّ اللهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ" البقرة ٢٢٢.

" وَإِن كُنتُمْ جُنُباً فَاطَّهَّرُواْ" المائدة ٦.

"... وَإِن كُنتُم مَّرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاء أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لاَمَسْتُمُ النِّسَاء فَلَمْ تَجِدُواْ مَاء فَتَيَمَّمُواْ صَعِيداً طَيِّباً فَامْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ مَا يُرِيدُ اللهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَكِن يُرِيدُ لِيُطَهَّرَكُمْ" المائدة ٦.

"وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ" الأعراف ٨٢

"أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ " النمل٥٦.

"لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ..." التوبة ١٠٨.

" وَاللهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ" التوبة ١٠٨.

" إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ..." آل عمران ٥٥.

أول ما يلحظ في هذا المورد كثرة الاستعمال بالقياس الى الاستعمال الجاهلي فضلاً عن المعاني الجديدة المستفادة من هذا المورد.

ففي الآية الأولى استعملت المادة مع انجاز الفعل المأمور به، ورتب على ذلك الانجاز سمو الذات، وزيادة خيرها وطهارتها. وفي الآية الثانية استعملت المادة مع الذات التي تمتثل

الأمر الالهي في مضمون الآية، وهي من الطهارة الذاتية او الاخلاقية. وفي الآية الثالثة جعلت المادة متعلق الحب الالهي لمن اتصف بها، فكل من امتثل الامر المولوي في الآية وسعى في تطهير نفسه أصبح محبوباً.

وفي الآية الرابعة خرجت المادة عما استعمل في لغة الجاهليين، فالذات مأمورة بإعمال الطهارة بعد الحدث من الجنابة، ورفع ما يجعل النفس فيه غير مهيأة لفعل الطاعات، ومزاولة العبادات. ولم أعثر على هذا الاستعمال في لغة العرب قبل الاسلام.

وفي الآية الخامسة المتممة للآية السابقة من سورة المائدة بينت المادة، بدخول اللام، السبب من إعمال الطهارة، وهو ان الإرادة الالهية (الارادة الشرعية) قاضية بأن يتطهر الناس جميعاً لكي يكونوا معدّين لتحصيل الخيرات ونيل البركات، والفوز بالزلفى والقربات.

وفي آية سورة الاعراف وآية سورة النمل استعملت المادة في سمو الذات وترفعها عن فعل القبيح، وهو من الفضل الذي تبوح به الاعداء.

وفي سورة التوبة استعمل المبنى الأول في اعمال الطهارة، ورتب النتيجة في المبنى الثاني، وهو أن يصبح هذا الفعل محلاً للحب الالهي.

وفي الآية الأخيرة تعبير جميل واستعمال أنيق، اذ جعلت طهارة النبي من الذين كفروا لا من قبح الاخلاق، ولا من فعل الجنابة، وكأن الكفار لشدة الأفعال القبيحة الصادرة منهم، والاعمال المنكرة التي قاموا بها، صاروا ذاتاً رجسة وعيناً نجسة، فلا مقام للنبي (عليه السلام) معهم فطهّره الله منهم.

وثمة آية قرآنية وردت فيها المادة، ولكن تجاذبها الخلاف بين المدارس العقدية والمذاهب الاسلامية الا وهي: قوله تعالى: ﴿... إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ الاحزاب ٣٣. فالضمائر فيها تحيل على جماعة الذكور وقرينة المدح وسياق المخالفة يحيل على اصحاب الكساء، وهو ما عليه مدرسة اهل البيت، ولكن سياق الآية ومفهوم الاهل قرآنياً يحيل على النساء، وهذا ما عليه مدرسة الصحابة. وأياً كان المصداق فأن صورة الطهارة في الآية، لها مزيد عناية، اذ جُعلت محلاً للإرادة التكوينية ومتعلقاً للفعل الالهي الكامل. فهي طهارة من سنخٍ آخر، يترفع بموجبها المتطهر الى درجات عالية.

- الثياب

قال تعالى: "يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنذِرْ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ" المدثر ١- ٤.

استعملت الطهارة في مورد الثياب، ولا يراد بها حقيقة الثوب واللباس، بل هي طهارة النفس والأخلاق، وكون الآية مكية[٤٦] يؤيد ذلك، لان التشريع لم يكن بعد، فهي، اذاً ، على

نحو ما استعمل من طهارة الثياب في بيت امرئ القيس.

ـ القلــوب

قال تعالى:

" أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ " المائدة ٤١.

" ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ" الاحزاب ٥٣.

لم يرد هذا الاســـتعمال في لغة العرب قبل الإســـلام، ولا يراد به في الآيتين العضـــو المخصـوص، اذ لا علاقة له بمضـمون الآية، بل هو مرتبة من مراتب النفس ينال بها الانسـان درجـة عـاليـة من الايمـان والتقوى، وتنفتح لـه بهـا ابواب السـعـادة، وينـال معـالي الامور. والاستعمال، هنا، يختلف عن مورد آية المجادلة ١٢، وآية البقرة ٢٣٢، لان القلب له نحو مزية في الميول والادراكات عند الاســـتعمال، وله أكثر فاعلية في الخطاب والتعبير، وكان قوام الانسان بقلبه لا بجسمه.

ـ البيـــــت

قال تعالى:

" وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْـــمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّـــجُودِ" البقرة١٢٥

" وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لَّا تُشـــــركْ بِي شَـيْئاً وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ " الحج ٢٦

لم تستعمل هذه المادة مع البيت الحرام في لغة العرب قبل نزول القرآن، كما استعملت في القرآن الكريم، وفيه دلالة على ان للبيت نوعاً من الطهارة يجب ان تؤدى، لكي يكون منشـــأ العمل الرســـالي أصـــيلا ومتينا، فإذا ما تطهر بيت الله من كل ما لا يليق به، وأزيلت منه كل الشوائب، كان هناك باعث صحيح، يهيئ الارضية المناسبة لارتباط الانسان بمبدئه وغايته التي يســـعى اليها، من غير ان تكون هناك مكدرات ومنغصـــات، توجه الانســـان نحو غاية وهمية وهدف غير أثيل، لذا من المحتم ان لا تكون الطهارة في هذا المورد من سـنخ الطهارة المعروفة في اسـتعمال العرب آنذاك، وانى لهم ذلك، وقد كان البيت، آنذاك، صـقعا للأصـنام، وموضـعا للأوثان، يريد الناس ان يعبدوا الله من خلال أصـــنامهم، وما تمليه عليهم ثقافتهم لا من منهل الفطرة، ومنبع التفكير.

المـاء والشـراب

قال تعالى: "وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّن السَّمَاء مَاء لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ " الانفال ١١

"وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُوراً " الفرقان ٤٨

" وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شراباً طَهُوراً " الانسان ٢١

لم يستعمل العرب في العصر الجاهلي – فيما تتبعت – الطهارة في مورد الماء والشراب، بل استعملوا النقاء مع الماء، قال عامر بن الظرب العدواني يوصي ابنته:

"ان الماء جعل للأعلى جلاء وللأسفل نقاء"(٤٧).

في حين ان القرآن استعمل الطهارة في مورد الماء النازل من السماء وأضفى عليه بُعدا شرعياً ، فهو طاهر بنفسه، ولشدة طهارته أصبح مطهرا غيره.

والله عز وجل هو الذي أعطاه هذه القيمة الشـــــرعية، فأصبح من المطهرات في مفهوم المتشرعة.

واستعملت الطهارة في مورد الشـــــراب، وهو معنى قرآني لم يألفه العرب قبل الاسلام. والمراد به شراب اهل الجنة. ولشدة رحمة الله بنا جعل الماء مطهرا لنا في الحياة الدنيا، وطهّرنا بشـــــراب الجنة في الحياة الآخرة، لكي تكون النفوس خالصة من كل غلٍّ وحقد، مجبولة على الرحمة والمحبة.

الصدقـــــــة

قال تعالى: "خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا" التوبة ١٠٣

استعملت الطهارة في مورد تكون الصدقة سببا في تحققها، فقد أمر الله عز وجل بأخذ الصدقة من المسلمين الذين تحدثت عنهم الآيات السابقة، لكي تكون طهارة لهم وزكاة، وهذا المعنى غير موجود في الاستعمال الجاهلي.

الصحـــف

قال تعالى: " فِي صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ " عبس ١٣ – ١٤

" رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفاً مُّطَهَّرَةً " البينة ٢

استعملت المادة في مورد الصحف، وهذا المورد لم يألفه العرب، ولم يستعمله أحد قبل الاسلام في خطاباته، ليدل على ان هناك نحواً من الصحف بريئة من كل ما يدنسها، بعيدة من كل ما يلوثها، فهي مطهرة من ذي طهارة.

وثمة موردٌ اخير اُختلف فيه فبعضهم قال انه للإنسان، وآخرون قالوا انه للملائكة، ذلك قوله تعالى:" إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ لَّا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ" الواقعة ٧٧-٧٩

لم يوضح القرآن موضع الطهارة في الآية الكريمة، لكن الوصف المجموع جمع سلامة، ينبئ انه للعقلاء الذكور، الا اذا خرجت الصيغة تخريجاً آخر، لذا نجد ان المفسرين، اختلفوا، اعتماداً على ما لديهم من قرائن ونصوص حديثيّة، فأكثرهم ذهب الى ان المورد هو للملائكة[٤٨] وآخرون ذهبوا الى انه للإنسان المطهّر من الاحداث[٤٩]وقيل انه لأصحاب الهمم العالية الذين خلت قلوبهم من غير الله[٥٠].

والذي اذهب اليه ان المورد المتقدم للمعصوم لا لغيره، سواء اكان من الملائكة ام من البشر، والمس لا يراد به اللمس بل العلم والادراك.

مما تقدم يتبين ان القرآن الكريم استعمل بعض الموارد على غرار ما جاء عند العرب قبل الاسلام من طهارة الثياب والنساء والرجال في جوانب مخصوصة، وانفرد، بذكر موارد لم يستعملها العرب آنذاك، وأضفى عليها بعدا دينيا، أي انه أطلقها وأراد بها استعمالا مخصوصاً فالمرأة في الجاهلية تطهُر، وفي القرآن تطهُر وتتطهَر، والرجل في القرآن يطهّر بدنه من الجنابة، ونفسه من الرذائل، وقلبه من زخارف الدنيا وزينتها، وفي لغة العرب قبل الاسلام استعمل معه الثياب المطهرة فحسب وهلمّ جرا.

وهذا يعني ان المفردة في الاستعمال القرآني تنمو بشكل كبير، وتتسع مساحتها لتشمل، فضلاً عن الموجودات المادية، موجودات غيبية، وتتكاثر معطياتها، لان الموارد كلما كثرت زادت مدلولاتها بحسب ما يناسب ذلك الاستعمال، واختلف المصداق في الشدة والضعف، فطهارة الثياب، مثلاً ، عندما تكون إرادية ليست كطهارتها عندما تكون مولوية، وما ينال الموجودات المجردة ليس من سنخ ما ينال الموجودات القارة في وعاء المادة.

مادة (ط هـ ر) في المعجم

بعد ان بيّنا – فيما سبق– صور استعمال المادة ومواردها في لغة العرب قبل الاسلام، وفي لغة القرآن، يجدر بنا ان نقف – ولو قليلاً – على المعجم العربي، لكي يتسنى معرفة الدور الذي أداه المعجم في بيان معنى المفردة، والآلية التي بها قدم المادة اللغوية أمام القرّاء، ومن ثم نحكم على العمل، أكان موفقاً ام لا؟ وهل يعول على مثل هذا المعجم في تحديد المعنى اللغوي؟، واذا خلُط المعنى اللغوي بالمعنى القرآني، فهل تغيب موارد الاستعمال؟

سأتتبع مادة لغوية في معجمين من معاجم اللغة القديمة، لكي أقف على آلية عمل صاحب المعجم في بيان المبنى وموارد استعماله.

يقول صاحب كتاب العين في (زكو): " الزّكوات: جمع الزّكاة. والزّكاة: زكاة المال، وهو تطهيره.. زكى يزكي تزكية، والزّكاة: الصلاح، تقول: رجل زكيّ تقي، ورجال ازكياء اتقياء. وزكا

الزّرع يزكو زكاءً ، ازداد ونما، وكل شـيء ازداد ونما فهو يزكو زكاء. وهذا الامر لا يزكو، أي: لا يليق.."[٥١].

وفي التهذيب: " قال الليث: الزكاة: زكاة المال، وهو تطهيره، والفعل منه: زكّـى يزكّـي تزكية، والزّكاة: الصـلاح...قال ابن الانباري في قوله تعالى: " وحنانا من لدنّـا وزكاة " معناه: وفعلنا ذلك رحمة لأبويه وتزكية له.. وقال جل وعز: " والذين هم للزكاة فاعلون ". قال بعضـهم: الذين هم للزّكاة اي العمل الصالح فاعلون... ومنه قوله جل وعز:

" خيراً منه زكاة " اي خيرا منه عملا صالحاً . وقال الفراء: زكاة: صلاحاً ...

وقال غيره: قيل لما يخرج من المال للمسـاكين من حقوقهم: زكاة... وقال اللحياني: زَكِى الرجل يَزْكي، وزَكا يزكو زكوّا وزكاءً، وقد زكوت وزكيت اي صـرت زاكياً..."[٥٢] وغير خفي ان الغالب على هذه المادة في المعجمين المتقدمين المعنى القرآني، حتى ان الموارد غير القرآنية تكاد تختفي، وهذا ان دل على شيء، فإنما يدل على ان الدافع وراء التأليف، والباعث للتصنيف هو القرآن الكريم، ولكن ما ينبغي ان يعرف هو الوقوف على الاسـتعمالين معا ومواردهما، والامكانات المتاحة لحركة المادة في أوساط المستعملين، لكي نتمكن من تشخيص المهد الأول لولادة المفردة، وما يصاحبها من تحولات وتغيرات تفرضها البنية وحاجات التخاطب.

ومن الطبيعي ان تتبع المهد الأول ليس متيسـراً لأي شـخص، ولا بمقدرة أي عالم، لأنه يتطلب الاستقراء التام للاستعمال اللغوي الأول في التخاطب قبل ان تفرض العوامل سلطتها في زحزحة المفردة عن اصـلها، ولكن هذا لا يمنع من التقصـي ومتابعة ما تذكره لنا المصـادر القديمة من الاستعمال اللغوي قبل مجيء الاسلام.

ولا احسب ان مادة (ط هـ ر) تختلف عما تقدم، فقد ذكر صاحب العين:

" الطهر: نقيض الحيض يقال طَـهَرت المرأة وطَـهُرت – لغتان، فهي طاهر. اذا انقطع، وهي ذات طُهْر – وتَطهّرت اي: اغتسلت واطْهَرت" [٥٣].

لا توجد إشـارة في هذا المقطع الى معنى لغوي يُتكأ عليه في البيان قبل الاسـتعمال القرآني، فقد جعل الطهر مقابل الحيض، وذكر للفعل لغتين من غير بيان، وزاد معنى قرآنياً ، ثم عرج المصـنف بعد هذا الى ذكر آيتين موضـحا معنى المبنى المسـتعمل فيها، اذ يقول: " والأطّـهار: الاغتسال في قوله تعالى: " وان كنتم جنباً فاطّـهّروا " وقوله عز وجل: " رجال يحبون ان يتطهّروا " يعني: الاسـتنجاء بالماء. والتطهر ايضـاً : التنزه والكف عن الأثم".[٥٤] ثم ذكر طهارة الثياب معرجا على بيت أمرئ القيس، ثم انتقل الى صـورة أخرى من المادة وهي الطهور، وقال انه " اسـم للماء الذي يتطهّر به، كالوضـوء للماء الذي يتوضـأ به. وكل ماء

نظيف اسـمه طهور"[٥٥]. ثم ذكر معنى آخر لم يسـتعمله العرب، وهو طهارة التوبة او الطهارة بإقامة الحدود من غير ان يستدعي لها شواهد من السنة والشريعة، ثم قال " والعرب تجمع طُهر النساء: أطهار، وهي ايامها التي لا تحيض فيها "[٥٦] مستشهدا بقول الشاعر•:

قومٌ إذا حَاربوا شدّوا مآزرهم دون النساءِ ولو بَاتت بأطهارِ

ثم ختم حديثه بطهارة الملائكة المفادة من قوله تعالى: "لَّا يَمَسُّـــهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ " الواقعة٧٩.

وكان الحري بالمصـــنف أن يبدأ في بيانه من المعنى اللغوي في اسـتعماله الاول، معززا قوله بالنصـــوص لا بالتمثيل، ثم يدخل بعد ذلك الى عالم النص القرآني، ويرى ان كان ثمة تطابق بين المعنيين، ويذكر ما استجد من معان اسلامية من غير ان يخلط الاستعمال اللغوي بالاستعمال القرآني.

ولم يختلف كلام الازهري عن ذلك، لأنه انطلق من كلام صـــاحب العين، ثم انتقل الى توجيه بعض الآيات القرآنية عند العلماء بقوله: ((واخبرني المنذريّ، عن ابي العباس انه قال في قول الله "عز وجل ": ولا تقربوهن حتى يطهرن فاذا تطهرن فأتوهن " وقرئ " حتى يَطّهّرن ". قال ابو العباس: والقراءة " يَطـّهّرن؛ لان من قرأ " يَطـْهُرن " اراد انقطاع الدم " فاذا تـَطـَهّرن ": اغتســـلن فيصـــير معناهما مختلفاً . والوجه ان تكون الكلمتان بمعنى واحد، يريد بهما جميعا الغسل، ولا يحل المسيس الا بالاغتسال، ويصدق ذلك قراءة ابن مسعود:" حتى يتطهّرن "))[٥٧].

ثم انتقل – بعد ذلك – الى كلام ابن الاعرابي في ذكر لغات الفعل، اذ يقول: " وقال ابن الاعرابي: طَهَرت المرأة هو الكلام. ويجوز طَـــهُرت، واما قول الله جلّ وعزّ: " رجال يحبون ان يتطهروا " فان معناه الاستنجاء بالماء"[٥٨]. ثم رجع الى قول الليث مرة اخرى في معنى التطهر وطهارة الثياب، وبعدها عاد الى ذكر الآيات القرآنية وتوجيهها عند بعض التابعين والعلماء. ثم ذكر (الطهور) وقال هو بمعنى الطاهر المطهر، وزاد معاني أخر غير لغوية مثل طهارة ماء البحر والتوبة وطهارة الملائكة وطهارة الختان[٥٩]. واللافت للنظر ان أكثر المعاني المتقدمة هي قرآنية او دينية، ولم يشـــــر الى المعنى اللغوي الا قليلاً ، وكأن المعجم قائم على اساس بيان المعنى القرآني من دون ملاحظة العلاقة بين المعنيين.

نعم، هناك ذكر لبعض صـور البناء من غير بيان وظائفها وجنبتي الاسـتعمال، فلا يُعلم أهذه الصورة مستعملة في الجاهلية ام لا.

اذاً، بصـــورة موجزة اقول: ان المعجم في النصـــين المتقدمين يبين المعنى للمفردة مركزا على المعنى الديني الذي يفهم من القرآن والســـنة من دون رتابة في بيان المعنى اللغوي وموارد الاســـتعمال انتقالا الى المعنى الديني وموارده، ما ادى الى خفاء حركة المفردة في انتقالها التاريخي من الجاهلية الى الاســـلام. ومن ثم يكون التعويل على اصـــحاب المعجمات في بيان

المعنى اللغوي يحتاج الى تأنٍ وتريث، وعلى الباحث ان لا يذعن لها، ويرجع الى مظانها المتمثل بالشعر والنثر، وتحصيل المعنى من تتبع الموارد.

لذا ارفض السبيل الذي سلكه عودة خليل في تبيين التطور الدلالي بين لغة الشعر ولغة القرآن في هذه المادة، لانه انطلق من قلب المعجمات لا من لب لغة العرب، واعتمد على معجم لسان العرب دون غيره من المعجمات التي سبقته بزمن طويل. اذ يقول: " الطهر في معاجم اللغة نقيض الحيض والطهر نقيض النجاسة وجمعه اطهار وهو من طهَر وطهُر يطهر طهراً وطهارة"[٦٠] ثم استشهد بثلاثة ابيات من الشعر• احدهما لا يعرف صاحبه ولا يعلم أهو جاهلي ام غير جاهلي، والآخران احدهما لأمرئ القيس، والثاني للنابغة، ثم يقول: " ولم يعرف للطهر وما اشتق منه غير هذا المعنى في الشعر الجاهلي"[٦١].

وعجبي كل العجب من هذا الباحث الذي جمع بين المعنى اللغوي الذي ابتدأ به كلامه، والشواهد التي استدعيت لبيان مراده، اذ لا يوجد ما يناسب ادعاءه في مطلع كلامه، لان الشواهد ظاهرة في طهارة الاخلاق وصفاء العريكة.

ان نتيجة الباحث هذه جاءت من لسان ابن منظور لا لسان العرب الجاهليين. وكان الاجدر به ان يستدعي الشواهد التي تناسب الطهارة من الحيض لا الطهارة من قبائح الاخلاق، ولو رجع الباحث الى دواوين الشعراء في العصر الجاهلي، والمصادر التي وثقت كلامهم، لوفق واجاد لكنه أصبح عرضة لسهام النقد، لتوانيه وعدم تقصيه.

ثم اقول: كيف استدل الباحث: ان الطهارة من الجنابة تحمل على المعنى المادي[٦٢]؟

ألم يعلم الباحث ان الغسل بالماء وحده لا ينتج الطهارة، ولو كان هذا حاصلاً ، لطهّر الماء الكافر والاعيان النجسة كالكلب والخنزير والميت مطلقاً . ان الله عز وجل جعل الماء مطهراً بعد ان يُضم إليه جملة من الامور الشرعية، واهمها النية، ويكفيك علما ان الزنا والنكاح صورتهما واحدة، والاختلاف بينهما بالعقد، وهو مجموعة من الالفاظ التي ينطقها الانسان عند الاقتران، فان وجد، كان حلالاً ، وان فقد صار حراما.

ان عمل الباحث غير سليم وتوجيهه غير دقيق، ولا يعول عليه في المعرفة لمن اراد تتبع الاستعمالين.

النتائـــج:

١. ان لغة العرب تؤخذ من لســـانهم لا من لســـان المعجمات، لمن اراد الدقة، وهي تتمثل بالمرويات الشـــعرية (الدواوين او المصـــادر الموثقة اشـــعار العرب قبل نزول القرآن) والنصوص النثرية، ويبقى عمل المعجم معينا الباحث في تحرير المعنى فحسب.
٢. ان تتبع صـور الاسـتعمال مفيد في معرفة اللسـان المتداول من غيره، وقد كانت الصـورة المستعملة في لسان العرب قبل الاسلام قليلة، اذا ما قيست بلغة القرآن الكريم.
٣. ان رصد موارد الاستعمال منتج وفعال في تحديد المعاني المتعددة التي ينصـــرف اليها اللفظ، ولا سيما اذا كان الرصد للاستعمال مبكرا، فانه كاشف حقيقة الاستعمال، وبغيابه تبقى نسبة الاحتمال واردة. فقد يراد بها الحقيقة، وقد يراد بها المجاز.
٤. ان زوال دم الحيض لا يجعل الطهارة مادية، لان الطهارة كائنة بعد الاثر المترتب على زوال دم الحيض، ومثله الاثر الكائن بعد زوال قبائح النفس ورذائل اخلاقها، والمحصـلة في كليهما واحدة.
٥. ان هذا المفهوم بحدوده الشـــرعية، له جذور عند العرب قبل الاسلام، فقد استعمل في مورد النساء للدلالة على براءتها من دم الحيض ورفع الاثر بالرحض.
٦. ان مراقبة التطور في الاسـتعمال موقوف على التقصـي والادراك لكل الموارد والصـور، لكي يكون الاثر واضـحاً ، فطهارة الماء مثلاً ، ليست من اللغة في شـيء، ومثله طهارة الشراب وطهارة الازواج في الجنة والموجودات المجردة.
٧. التعويل على اصـحاب المعجمات كثيراً يعثر خطوات البحث، لان المعجم لم يسـتقصِ – في عمله – لغة العرب من مظانها، ولم يتتبع الاستعمال في التداول اللغوي، بل كان جل اهتمامهم منصـباً على بيان معاني المفردات الدينية، وهنا قد يقع الباحث في لبس عند تحديد المعنى اللغوي.
٨. ان متابعة المادة في الاستعمالين المتقدمين يكشف عن النسق الثقافي في بيئات التداول، وقد تبين ان الطهارة، في نســـقها الجاهلي، لا تحمل روحاً معنوية وبعداً غيبياً على خلاف الاستعمال القرآني الذي جعلها محوراً لكل علومه ومعارفه حتى اصبحت نسقاً جوهرياً اصيلاً. هذا لا يمنع ان يكون حضور المفهوم لدى العرب اسبق من الاستعمال القرآني ولكن المزية في الاستعمال الشـــرعي تكمن في أنه اضاف المقدمات الضرورية لتكامل الفعل العبادي كالنية وكيفية الغسل وطبيعة الماء الغاسل وغيرها.

الهوامش

١. تاريخ العرب قبل الاسلام:١٦٨.
٢. السابق:١٧٦.
٣. السابق: ١٧٦
٤. الديوان: ٧٠
• هذا البيت من قصـــيدة قيل انها لعامر بن علقمة، وقيل للعباس بن عبد المطلب قيلت في ابي طالب ينضـــر كتاب الوحشيات :٦٧.
٥. ديوان ابي طالب بصياغة علي بن حمزة البصري: ١٨٠
٦. معجم الشعراء ١٥٧.
• يقول سيبويه: "اما ما كان حسناً او قبحاً فإنه مما يبنى فعله على فعُل يَفعُلُ، ويكون المصدر فعالا وفَعالةً وفُعلا" الكتاب ٢٨/٤، وينظر: تصريف الاسماء والافعال ١٣٣.
٧. الكتاب ٣/ ٣٨٣-٣٨٤.
٨. ١٦٣/٣-١٦٤، ينظر المخصص: ٥/ ٦٦.
٩. المذكر والمؤنث:١/ ١٨٩.
١٠. ينظر المذكّر والمؤنث ١/ ١٧٣.
١١. إصلاح المنطق:٣٤٣، وينظر المذكر والمؤنث ١/ ١٩١.
١٢. ينظر الإنصاف في مسائل الخلاف ٢/ ٢٥٨-٢٧٣.
١٣. ديوان الاعشى: ١٣٩
١٤. شعراء حمير ٢/ ٣٧.
١٥. ديوان شعر بني كليب ١/ ١١٦.
١٦. الديوان: ٤٠.
١٧. الأنوار ومحاسن الأشعار: ٨١.
١٨. السابق ١١٧.
١٩. ديوان النابغة: ١٠٧، وشرح الاشعار الستة الجاهلية: ١/ ٤٩٣.
٢٠. ينظر: محاضرات في تصريف الأسماء: ٢٤٦،٢٨٥-٢٨٦.
٢١. ديوان الحماسة: ٢٨٣، وكتاب الحماسة للبحتري ٩٥، وكتاب الحماسة البصرية ٧١٦/٢
٢٢. ديوان النابغة: ٦٠، وشرح الاشعار الستة الجاهلية: ١/ ٤٠٩
٢٣. ديوان الاعشى: ١٨١
٢٤. ديوان دريد بن الصمة: ٥١، والاغاني ٣٥٠٢/١٠
• من كان مخضرما من الشعراء لم نورد له من هذه الأبنية، ما لم يقم دليل على أنّها قيلت في العصـــر الجاهلي، لذلك لم نذكر بيت أبي ذؤيب الهُذَلِي برواية الأصمعي:
فإن بني لِحْيان إمّا ذكرتهم نِثاهُمْ إذا اخْنَى اللّئامُ طهيرُ،
ينظر شرح اشعار الهذليين ٥٥/١، والمحكم والمحيط الاعظم: ١٧٥/٤، ولسان العرب: ٨/ ٢٣٩

وكذلك بيت الخنساء:

يا صخر ماذا يواري القبر من كرم ومن خلائق عفّاتٍ مطاهير

الديوان ٦٤

٢٥. الديوان: ٢٥٢.

٢٦. ديوان امرئ القيس ١٦٩، وشرح الاشعار الستة الجاهلية ١/ ٢١٩.

٢٧. ينظر: المحكم: ٤/ ١٧٥، وارتشاف الضرب: ١/ ٤٥٢ .

٢٨. الصحاح:٢/ ٤٢٤.

- أمّا ما ذكرته صاحبة كتاب وصايا الآباء إلى أولادهم من وصيّة الفرافصة لابنته نائلة حين زفّها إلى الخليفة عثمان(رض)، والتي جاء فيها :(تطهّر حين يكون ريح جلدك كأنه ريح شن أصابه مطر) على أنّها من وصايا العصر الجاهلي فهو في غير محله؛ لأنّ هذه القصّة أوردها ابن قتيبة وهي ليست من وصايا العصر الجاهلي ينظر عيون الأخبار٤/ ٤٦

٢٩. مجمع الامثال: ٢/٤٢١.

- قصة المثل في كتاب الاغاني تختلف قليلا عما ذكره الميداني، والمبنى المستعمل هو (طهرت). انظر: الاغاني ١٨/ ٦٤٨٨

٣٠. جمهرة الامثال ٢/٥٢. وقد وردت هذه القصة في مجمع الامثال من غير ذكر المادة ينظر: ١/ ١٤٤

٣١. جمهرة الامثال: ٢/ ٣٠٢، ورد المبنى بالصورة الفعلية بقوله: "وكانت عاركا فطهرت..." في مجمع الامثال ٣/ ١٣٧.

٣٢. امثال العرب ٦٩.

٣٣. التذكرة الحمدونية ٢ / ١٢٩

٣٤. معاني القرآن وإعرابه:٢/ ١٢٥، وينظر التفسير البسيط ٧/ ٢٨٥، واللباب ٧/٢٣٢-٢٣٣.

٣٥. ينظر المعجم الصرفي لألفاظ القرآن الكريم:٢٤٢،

٣٦. ينظر الجدول في إعراب القرآن وصرفه:٣/ ٢٨٦.

٣٧. ينظر: التفسير الكبير ٨/٤٦٦، والجامع لأحكام القرآن ١٥/ ٢٢-٤٢ والبحر المحيط ٨/ ١١٥، والدر المصون ٨/٤٨٧-٤٨٨، واللباب ١٤/ ٥٤٣ - ٥٤٤، وتفسير ابي السعود ٦/٢٢٤، وروح المعاني ١٩/٦٧-٦٨

٣٨. ينظر: البحر المحيط ٨/١١٥، والدر المصون ٨/٤٨٨

٣٩. ينظر: البحر المحيط ٨/١١٥-١١٦

٤٠. ينظر: التحرير والتنوير ١٩/٦٩.

٤١. ينظر: الميزان ١٩ / ٢٢٦.

٤٢. ينظر مجمع الامثال ١/ ١٢١

٤٣. ينظر: مجمع البيان ٥ / ٣٥٠، والتفسير الكبير ٨ / ٣٧٩، والبحر المحيط ٦ / ١٨٧، واللباب ١٠ / ٥٣٤، وروح المعاني ١٢/ ٣٨، والتحرير والتنوير ١١/ ٣٢، والميزان ١٢ / ٣٢٦

٤٤. ينظر: روح البيان ٤ / ٢١٩

٤٥. ينظر: الامثل في تفسير كتاب الله المنزل ٧/ ١٥.

• نظر الباحث في هذا المورد الى ما تقدمه الضـمائر الإحالة والقرائن الصـرفية، فكانت ضـمائر الخطاب: لكم ومنكم، واللواصـق: الواو والنون، والياء والنون كاشـفة عن الرجال. ولكن قد تدخل النسـاء معهم في بعض الآيات من باب التغليب معتمدين في ذلك على قرائن السياق.

٤٦. ينظر: التفسير الكبير ١٠/ ٦٩٦، والبرهان في علوم القرآن ١ / ١٣٨، وبصائر ذوي التمييز ١/ ٩٨

٤٧. جمهرة وصايا العرب ١/ ٢٠٤

٤٨. ينظر: التبيان في تفسير القرآن ٩ / ٤٠٨، ومجمع البيان ٩ / ٤٢٠، والتفسير الكبير ١٠ / ٤٣٢ والجامع لأحكام القرآن ٢٢٠/٢٠، واللبـاب في علوم الكتـاب ٤٣٤/١٨، وروح المعـاني ٣٦٧/٢٦، والتحرير والتنوير ٣٠٥/٢٧-٣٠٦.

٤٩. ينظر: التبيـان ٤٠٩/٩، ومجمع البيـان ٤٢٠/٩، والجـامع لأحكـام القرآن ٢٢١/٢٠ – ٢٢٢، وروح المعـاني ٣٦٨/٢٦ – ٣٧٠.

٥٠. ينظر: الميزان ١٤٢/١٩، والأمثل ٣٦٧/١٧.

٥١. ٣٩٤/٥

٥٢. ٣١٩/١٠ – ٣٢٠

٥٣. ١٨/٤

٥٤. ١٨/٤-١٩

٥٥. ١٩/٤

٥٦. ١٩/٤

• هذا البيت للأخطل ذكره المرزوقي في شرح ديوان الحماسة ٩٩٢/١

٥٧. تهذيب اللغة ١٧١/٦

٥٨. السابق نفسه ١٧١/٦

٥٩. ينظر: السابق نفسه ١٧١/٦.

٦٠. التطور الدلالي بين لغة الشعر ولغة القرآن ١٨٣

• اضعت المال للأحساب حتى خرجت مبرأ طهر الثياب

ثياب بني عوف....

احلام عاد واجساد مطهرة...

٦١. السابق نفسه ١٨٣.

٦٢. السابق نفسه ١٨٤.

مصادر البحث ومراجعه

١- ارتشاف الضرب من لسان العرب، لابي حيان الاندلسي، تح د. رجب عثمان محمد، مراجعة د. رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي بالقاهرة ط ١، ١٩٨٨م

٢- اصلاح المنطق ابن السكيت، تحقيق احمد محمد شاكر وعبد السلام هارون، دار المعارف بمصر. ط٣.

٣- الاغاني، لابي الفرج الاصفهاني، تح ابراهيم الابياري، دار الشعب. القاهرة ١٩٦٩م

٤- امثال العرب، للمفضل الضبي، مطبعة الجوائب، قسطنطينية، ١٣٠٠ هـ.

٥- الامثل في تفسير كتاب الله المنزل، لناصر مكارم الشيرازي، دار إحياء التراث العربي، بيروت ط ٢، ٢٠٠٥م.

٦- الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين لكمال الدين أبي البركات عبد الرحمن بن أبي الوفاء بن عبيد الله الأنباري، قدم له ووضع هوامشه وفهارسه حسن حمد، بإشراف د. إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٩٩٨م.

٧- الانوار ومحاسن الاشعار، ابو الحسن المطهر العدوي، تحقيق صالح مهدي العزاوي، دار الشؤون الثقافية – بغداد. ط٢، ١٩٨٧م.

٨- البحر المحيط، لابي حيان الاندلسي، دار الفكر – بيروت ٢٠٠٥ م.

٩- البرهان في علوم القرآن. للزركشي، قدم له وعلق عليه وخرج أحاديثه مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية – بيروت ط ١، ٢٠٠٧ م.

١٠- تاريخ العرب قبل الإسلام، عبد الملك بن قريب الأصمعي، تحقيق محمد حسن آلِ ياسين، دار الوراق، ٢٠٠٩م.

١١- التبيان في تفسير القرآن، لابي جعفر الطوسي، تح أحمد حبيب قصير العاملي، الاميرة للطباعة والنشر – بيروت. ط١، ٢٠١٠ م.

١٢- التحرير والتنوير، لابن عاشور، مؤسسة التاريخ العربي بيروت. ط١، ٢٠٠٠ م.

١٣- التذكرة الحمدونية، محمد بن الحسن بن محمد بن علي، تح د. احسان عباس، وبكر عباس، بيروت – دار صادر، ط ١، ١٩٩٦م.

١٠- التطور الدلالي بين لغة الشعر ولغة القرآن، عودة خليل ابو عودة، مكتبة المنار الاردن، ط١، ١٩٨٥ م.

١١- تفسير ابي السعود: لابي السعود محمد بن محمد العمادي، دار احياء التراث العربي: بيروت ط٤، ١٩٩٤ م.

١٢- التفسير البسيط، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد الواحدي، تحقيق الدكتور محمد بن صالح بن عبد الله بن فوزان، دار العماد دمشق، ط١، ٢٠١٣ م.
١٣- تفسير روح البيان، لإسماعيل حقي البروسوي، تعليق وتصحيح وضبط النص أحمد عزو عناية، دار احياء التراث – بيروت. ط١ ٢٠٠١ م.
١٤- التفسير الكبير، للفخر الرازي، إعداد مكتب تحقيق احياء التراث العربي – بيروت ط ١، ٢٠٠٨م.
١٥- تهذيب اللغة، لابي منصور محمد بن أحمد الازهري، حقق الجزء السادس د. محمد عبد المنعم خفاجي والاستاذ محمود فرج العقدة، وحقق الجزء العاشر الاستاذ علي حسن هلالي والاستاذ محمد علي النجار. تراثنا: د. ت. د. ط.
١٦- الجامع لأحكام القرآن، لابي عبد الله محمد القرطبي، تح عبد الله بن عبد المحسن التركي مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ١،٢٠٠٦ م.
١٧- الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه، محمود صافي، ط١، ١٤٢٥هجرية.
١٨- جمهرة الامثال، لابي هلال العسكري، تح محمد أبو الفضل إبراهيم وعبد المجيد قطايش، المكتبة العصرية – بيروت ٢٠٠٥ م.
١٩- جمهرة وصايا العرب دراسة وتحقيق محمد نايف الدليمي، دار النضال – بيروت، ط١، ١٩٩١م.
٢٠- الحماسة لابي عبادة الوليد بن عبيد البحتري، برواية ابي العباس أحمد المعروف بابن ابي خالد الأحول، ابو ظبي للثقافة والتراث. ٢٠٠٧ م.
٢١- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، لأحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي، تح د. أحمد محمد الخراط، دار القلم- دمشق، ط٢، ٢٠٠٣ م.
٢٢- ديوان ابي طالب بن عبد المطلب بصنع علي بن حمزة البصري، تح محمد حسن آل ياسين، منشورات دار ومكتبة الهلال، ط١، ٢٠٠٠ م.
٢٣- ديوان الاعشى الكبير، شرح وتعليق د. محمد حسين، الطبعة النموذجية في القاهرة، د.ت.
٢٤- ديوان امرئ القيس دار صادر بيروت. د. ت.
٢٥- ديوان شعر بني كليب بن وبرة. صنعه الدكتور محمد شفيق البيطار. دار صادر – بيروت، ط١، ٢٠٠٢م.
٢٦- ديوان حسان بن ثابت جمهورية مصر – وزارة الثقافة ١٩٧٤م.
٢٧- ديوان الحماسة لابي تمام الطائي، تح د. عبد المنعم أحمد صالح، دار الشؤون الثقافية العامة – بغداد. ١٩٨٠ م.
٢٨- ديوان الخنساء شرحه وضبط نصوصه وقدم له. د. محمد فاروق الطباع، دار الارقم. بيروت.

د ت.
٢٩- ديوان دريد بن الصمة، تح د. محمد عبد الرسول دار المعارف بمصر، د. ت.
٣٠- ديوان عبيد بن الأبرص، دار صادر بيروت.
٣١- ديوان المخبل السعدي، دار صادر – بيروت. ط١، ٢٠٠٧م.
٣٢- ديوان النابغة الذبياني، تحقيق وشرح كرم البستاني، دار صادر – بيروت، ١٩٦٣ م.
٣٣- روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني: للآلوسي شهاب الدين البغدادي، تح ماهر حبوش، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ٢٠١٠ م.
٣٤- شرح الاشعار الستة، للوزير ابي بكر عاصم بن ايوب البطليوسي، تح ناصف سليمان، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٧٩م.
٣٥- شرح اشعار الهذليين صنعة ابي سعيد الحسن بن الحسين السكري برواية علي بن عيسى النحوي، ضبطه وصححه خالد عبد الغني محفوظ. دار الكتب العلمية بيروت ط١، ٢٠٠٦ م.
٣٦- شرح ديوان الحماسة، لابي علي أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي، نشره أحمد أمين وعبد السلام هارون، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر – القاهرة،ط١.
٣٧- شعراء حمير، تحقيق د. مقبل التام عامر الاحمدي، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، ٢٠١٠م.
٣٨- عيون الاخبار ابن قتيبة الدينوري، دار الكتاب العربي – بيروت.
٣٩- الكتاب أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي القاهرة،ط٤، ٢٠٠٤م.
٤٠- كتاب الحماسة البصرية، لصدر الدين علي بن ابي الفرج الحسن البصري، تح وشرح ودراسة د. عادل سليمان جمال، مكتبة الخانجي بالقاهرة ط١، ١٩٩٩م.
٤١- كتاب العين للخليل الفراهيدي، تح د. مهدي المخزومي ود. ابراهيم السامرائي، دار الرشيد للنشر، بغداد، ١٩٨٢ م.
٤٢- كتاب الوحشيات لابي تمام الطائي، علق عليه وحققه عبد العزيز الميمني الراجكوتي وزاد في حواشيه محمود محمد شاكر، دار المعارف بمصر ط٣، د. ت.
٤٣- اللباب في علوم الكتاب، لابن عادل الحنبلي، تح عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية بيروت، ط١، ١٩٩٨ م.
٤٤- لسان العرب لابن منظور، تح ياسر سليمان ابو شادي ومجدي فتحي السيد المكتبة التوفيقية في القاهرة، د. ت.
٤٥- مجمع الامثال للميداني، تح محمد ابي الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية – صيدا ٢٠٠٩م.
٤٦- مجمع البيان لعلوم القرآن، لابي علي الطبرسي، مطبعة مؤسسة الهدى للنشر والتوزيع

١٩٩٧م.
٤٧- محاضرات في تصريف الاسماء د. ليث داود سلمان، جيكور للطباعة والنشـــر والتوزيع – بيروت، ط١، ٢٠١٦ م.
٤٨- المحكم والمحيط الاعظم، لابن سيده، تح مجموعة من المحققين معهد المخطوطات العربية – القاهرة ط٢، ٢٠٠٣ م.
٤٩- المخصـص، أبو الحسـن علي بن إسـماعيل النحوي اللغوي الأندلسـي، قدم له خليل إبراهيم جفّال،دار إحياء التراث العربي بيروت، ط١، ١٩٩٦م.
٥٠- المذكر والمؤنث، أبو بكر بن الأنباري، تحقيق الدكتور طارق الجنابي، دار الرائد العربي بيروت، ط٢، ١٩٨٦م.
٥١- معاني القرآن وإعرابه، أبو إسحاق إبراهيم بن السري الزجاج، شرح وتحقيق د عبد الجليل عبده شلبي، خرج أحاديثه علي جمال الدين محمد، دار الحديث القاهرة، ٢٠٠٤م.
٥٢- معجم الشعراء المرزباني، تحقيق د. فاروق اسليم. دار صادر– بيروت، ط١ ٢٠٠٥ م.
٥٣- المقتضب أبو العباس محمد بن يزيد المبرد، تحقيق عبد الخالق عضيمة، عالم الكتب.
٥٤- الميزان في تفسـير القرآن، لمحمد حسـين الطباطبائي، منشـورات الاعلمي – بيروت ط١، ١٩٩٧م.